

سلام الله كنزٌ عظيم

المتروبوليت أثناسيوس مطران ليماسول

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

عندما نقتني سلام الله في داخلنا، تقتنع أرواحنا بأن الله هو حقاً أبونا، وبأننا أولاد هذا الإله القدير الذي يرفع خليفته ويحكمها. نشعر حينها بأننا لسنا في خطر وليس علينا أن نخاف شيئاً. حين نكون في سلام مع الله، نكون في سلام مع الآخرين أيضاً. نتوقف عن رؤية الآخرين كأعداء، وعوضاً عن ذلك نرى فيهم إلهنا: "إذا رأيت أخاك أو أختك فقد رأيت الرب إلهك". بالنسبة لشعب الله، كل إنسان هو "حسنٌ جداً" بمقدار ما صنع الله الخالق كل واحدٍ، ولا يفكرون (أي شعب الله) بالشر في قلوبهم، لأن الشر غير موجودٍ بالنسبة لهم. بالطبع، هم ليسوا ساذجين، ولكنهم لا يقرّون بأن خليقة الله، المخلوقة على صورة إلهنا الصالح، شريرة وتتمنى لنا الشر. هذا لا يعني بأن شعب الله حمقى وسذج، وهم لا يظنون أن لا شيء مطلقاً يهددهم، وبالتالي، لا يمكن أن تكون لديهم علاقات سيئة مع الآخرين. شعب الله، الموقنون بوجود الله، لا يخافون أحداً أو شيئاً. سلام الله له نتائج اجتماعية مبهرة. حين يزول الحسد والشك والخوف، فلم لا نتحد بالمحبة بعضنا تجاه بعض في عائلاتنا وفي حياتنا اليومية؟ ولكن إن لم يكن لدينا سلام الله، فإننا نحسدُ بعضنا ونخاف من بعضنا، ونتصرف بروح الشك وفقدان سلام الله. إننا واقعون تحت ضغط الشر الساكن فينا، لأننا، إذ نحن محرومون من نعمة الله، لم نعلم من تحت حجاب الشر الذي يغطي العالم. لذلك فإنه من الطبيعي أن نخاف، لا من إخوتنا وأخواتنا والناس الآخرين فحسب، بل من محيطنا المباشر أيضاً. نشعر حينها بأننا مهددون من كل شيء. غالباً ما نشعر بأن لا رغبة لنا في أن نكون غير محبين أمام الآخرين، لأننا لا نعرف ما الذي يمكن أن يحدث في حالة كهذه، ولا نملك سلاماً في أرواحنا.

ولكن السلام الذي مصدره الله ينتشر في كل مكانٍ عبر البيئة المحيطة. لذلك فإن شعب الله يمكنهم أن يقيموا في أي مكانٍ، ويصادقوا الخليفة بأكملها، ويعيشوا بسلامٍ معها. عاش العديد من القديسين مع الحيوانات البرية. عاش القديس جراسيموس مع أسدٍ عند نهر الأردن، وعاش القديس باييسوس مع الحيوانات البرية، لأنه مثل بقية القديسين، كان متصالحاً مع الله. أقام القديس باييسوس في وادٍ، في مكانٍ مريعٍ، وكلُّ الأساقيط في الجبل المقدس متشابهة. لكنه لم يشعر بأي خوفٍ هناك. كان كل شيء حوله آمناً ورائعاً جداً حتى أنه شعر بأنه يسكن في أكثر مكانٍ مُفرحٍ على وجه الأرض. اليوم، يمكننا العيش في مدينةٍ مع الكثير من الناس ومع ذلك نشعر بالخوف، لأننا فقدنا سلام الله.

لذلك، فإن هذا السلام المُعطى للإنسان من خلال عملية معينة، يؤثر في حياتنا بأكملها، وهو ملموس

وحقيقي ومُطلق. الكنيسة تُعطي هذه الخبرة. ولكن كيف يحدث هذا عملياً؟ هل يمكن للناس العائشين في عالماً، الذين يحيون حياتهم اليومية بكل مشاكلها وأخطارها، أن يختبروا سلام الله ومواهبه إذا كان كل ذلك متوفراً لفئة واحدة معينة فقط؟

ولكن المسيح دعانا جميعاً إليه وقدّم نفسه لنا جميعاً في الكنيسة. جميعنا أبناء الكنيسة أمنا، التي صنعها الله وأغناها بالمواهب التي جلبها بتجسده وبانحدار الروح القدس. لذلك يمكننا جميعاً الاشتراك في خبرة سلام الله. وبالتالي، فإن تسبحة الملائكة: "المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام..." قد تم تأكيدها وأصبحت حقيقةً في قلوبنا وتظل كذلك. لا ينظر المسيح إلى الناس كجموع. يرى كل شخص على أنه فريد، ويشفي كلاً منا بشكلٍ منفرد، ويحفظ شخصية كل واحدٍ منها. لا يجعلنا كلنا متماثلين. إن ضمان الحرية واحترامها يُظهران بأن سلام الله يتحقق في كل واحدٍ منا على حدة، ويمنحنا الطريق للقاء المسيح.

لقد أظهر لنا القديسون أنفسهم أن هذا السلام موجودٌ على الأرض وهو معروض ومُقدّم لنا. حين تفتح قلوبنا للنعمة، تتواصل معها وترتفع فوق أحداث هذا العالم. عندما يدخل الناس حقيقةً إلى مناخ هذه العلاقة مع الله، يولد داخلهم رجاء غير متزعزع بحبة الله. لا يعيرون انتباهاً إلى واقع خطاياهم أو سقطاتهم أو أمراضهم، بل يختبرون فرح الرجاء.

إن سلام الله متاحٌ لكل واحدٍ منا ويمكننا التمتع به. "تعال وانظر" (يوحنا ١:٤٦)، يقول المسيح. "ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب" (مزمور ٣٣:٩)، لطالما تحدثت الكنيسة حول هذا بثقةٍ وسلطة تامة، لأنها امتلكت بين يديها هذه الخبرة. إنها مُتاحة لكلٍ منا، ويمكن لكل واحدٍ منا بل ويجب عليه أن يجدها ويزرعها في نفسه وفي بيئته. خلّص الرب الإنسان بكليته، وإنه لخطأ فادح أن نُنظر بأن هناك أية ظروفٍ لا يستطيع فيها أن يخلصنا، أو أنّ فسادنا وشرنا وقدرته القوي الأخرى يمكنها مطلقاً أن تربكه أو تعيق عمله وعنايته. إن الغلبة لله. "وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم، إيماننا" (١ يوحنا ٥:٤). افعل كل ما في وسعك بدون قلق وتوتر، وسيشهد ضميرك أنك قُمت بكل ما تستطيع. ثم ضع كل مشاكلك ومشاكل أولادك وصحتك وأموالك، أي كل شيءٍ يُثقل كاهلك، في يدي الله. وحينها سيظهر (الله) بالحقيقة. لقد غلب المسيح العالم والخوف والقلق، وأعطانا نفسه لنعرف سلامنا الحقيقي. لذلك نحن سعداء ومسالمون. إننا لا نخاف شيئاً، بل نمضي في طريقنا، حاملين ذلك السلام العميق في قلوبنا، وهو السلام الذي رتل له الملائكة واختبره جميع القديسين وحفظته كنيستنا إلى هذا اليوم ككنزٍ ثمين.

Metropolitan Athanasios of Limassol. "The Peace of God is a Great Treasure". Translation by Jesse Dominick. *Orthodox Christianity*. Sretensky Monastery. 1/25/2022. <https://orthochristian.com/144074.html>